الإنقسام الإسرائيلي.. الأسباب الداخلية والنتائج الخارجية

وسام إسماعيل
كاتب ومحلل سياسي

لا يمكن اعتبار الأحداث الأخيرة التي تعصف بالداخل الإسرائيلي عادية أو تعبّر عن سلوك نمطي للمجتمع الإسرائيلي، إذ إن الصورة التي كان يهدف المؤسسون إلى تعميمها لا تخرج عن إطار التماسك والاستقرار المجتمعي والقدرة على معالجة أي انقسام داخلي، ضمن إطار مؤسسي بسرعة وفعالية ما يجنّب البناء "الدولتي" للكيان أي ضرر.

وإذا كان من الممكن أن نتحدث عن انقسام سياسي تاريخي بين مكوّنات السلطة السياسية في الكيان، فإن ذلك الانقسام لم يكن إلا محاولة لتظهير العمل السياسي الإسرائيلي وفق مفاهيم الحرية والديمقراطية، إذ كانت كل الأطراف السياسية متفقة على الهدف النهائي المتمثل بالحفاظ على ما يسمى بقوة الكيان وتماسكه، وقدرته على التفوّق الاستراتيجي، بالإضافة إلى وحدة الرؤية العنصرية تجاه الشعب الفلسطيني والشعوب العربية، والانتماء إلى مايعدّونه العالم المتحضر المتمثل بأوروبا والولايات المتحدة الأميركية. وبذلك، يصبح من الممكن اعتبار ذلك الانقسام شكلياً يشبه في طياته الثنائية الحزبية الأميركية المتوافقة على سياسات الولايات المتحدة الأميركية الخارجية.

وإذا كان سلوك الطبقة السياسية قد التزم، ظاهرياً، رؤية موحّدة للمصلحة العليا الإسرائيلية طوال أكثر من سبعين عاماً، فإن ذلك لم يكن مرتبطاً بعملية بناء المجتمع الصهيوني، ووفق وفق أسس هذه المصلحة، ووفق ضرورة عدم انعكاس التمايز السياسي الداخلي اختلافاً في الرؤية حول كيفية المحافظة على القدرات الردعية للكيان.

فالمشروع الإسرائيلي التوسعي الذي انطلق منذ إعلان الكيان وصولاً إلى بدء توقيع اتفاقيات التطبيع مع الدول العربية مروراً بالحروب العدوانية التي شنّها، كان يفترض تماسكاً داخلياً استثنائياً، شكّل قناعة عند الجيل المؤسس ومن خلفه بعض القادة الذين تأثروا بالعلاقة المباشرة مع ذلك الجيل، بضرورة المحافظة على صورة هذا التماسك وعلى التضامن الداخلي.

وإذا كانت فكرة المحافظة على الكيان "الدولة" مفهومةً لدى المؤسسين الذين خاضوا حروباً، عدّوها ضرورية لتأسيس الكيان وضمان استمراريته، فإن من تسلم السلطة من بعدهم، خصوصاً في السنوات الأخيرة، لم يظهر استعداداً للتضحية في سبيل الكيان، وإنما تعاطى مع السلطة على أنها وسيلة لتكريس النفوذ وتحقيق المصالح الخاصة، أو أنها أداة للتغطية على ملفات الفساد، بعيداً من المصلحة العليا للكيان.

أما على مستوى البناء السياسي الداخلي، فإن شكل التنافس السياسي الذي نجح الجيل المؤسس في تكريسه، وفق توازن الحزبين المهيمنين على الحياة السياسية، تحت سقف نظام تعددي، لم يعد متاحاً في عصرنا الراهن. فالتنافس السياسي الذي ساد حتى ما قبل نهاية الألفية بين حزبي العمل والليكود وعدد قليل من الأحزاب الأخرى، قد تحوّل إلى انقسام سياسي حاد، إذ برزت في الكنيست كتل نيابية تمثل أحزاباً كثيرة، تتناحر وتتشابك فيما بينها، بحيث يشكل الحصول على المغانم والمقاعد الوزارية هدفها الأول.

وفي هذا الإطار، يمكن الإشارة إلى الفشل في تشكيل أكثرية ثابتة منذ عام ٢٠١٩ على الرغم من إعادة الانتخابات التشريعية خمس مرات. وإن كان لهذا الأمر دلالة، فإنه يدلل على تشظي المجتمع الإسرائيلي وانقسامه على نفسه، إذ لم يعد هذا الانقسام يظهر على شاكلة يمين ويسار فقط، إنما يؤكد الانقسام والتفتت داخل كل اتجاه.

إضافة إلى ذلك، يبدو لافتاً أن القادة الإسرائيليين، في السلطة وخارجها، لم يجدوا أي حرج في السماح باستمرار الخلاف وتحوّل الانقسام السياسي إلى انقسام شعبي، قد يهدد في حال استمراره باندلاع مواجهات مسلحة. فالحكومة بوجهها اليميني المتطرف، الذي يضم إلى جانب نتنياهو كلاً من إيتمار بن غفير وبتسلال سموتريتش، لم تظهر مرونة في تعاطيها مع المستجدات الداخلية المرتبطة بالأمن القومي الإسرائيلي. فالإصرار على إسقاط السلطة الفلسطينية، وإثارة العنف تجاه الفلسطينيين، مع ما يعكسه هذا العنف من عمليات تضرب العمق المجتمعي الإسرائيلي، بالإضافة إلى إظهار عدائية غير مسبوقة تجاه المعارضة الإسرائيلية تحت مسميات يهودية متطرفة، لن يساعد في إعادة الهدوء إلى مدن الكيان.

أما على مستوى تحديات الكيان الخارجية، فبالإضافة إلى القلق من تعاظم قوة حزب الله على الحدود الشمالية وتمدد مسرح عمليات المقاومة في اتجاه الجولان، مع ما تعانيه المؤسسات الأمنية والسياسية داخل الكيان من تخوف نتيجة تطور قدرات إيران النووية والصاروخية، ونجاحها في رسم معالم تحالف مقاوم يهدد الأسس الإستراتيجية للقوة الإسرائيلية القائمة على توجيه الضربات، وضمان عدم تلقي أي رد فعل، يظهر قلق متزايد لدى النخب السياسية الإسرائيلية من خطر فقدان الدعم الغربي للكيان. وقد كان الدعم الأوروبي والأميركي للكيان مرتبطاً بما يظهره هذا الأخير من دينامية وانتظام خلف أجنداته. فعلى الرغم من التصريحات ذات السقوف العالية التي كان يحرص القادة الصهاينة على إطلاقها في إطار تهديد المقاومة في فلسطين أو لبنان أو حتى الجمهورية الإسلامية، فإن الواقع كان يدلل دائماً على التزام إسرائيلي بالخطوط الحمر التي يحددها الغرب.

إضافة إلى ذلك، لم تكن تهدف الزيارات الأخيرة للمسؤولين الأمنيين والسياسيين الأميركيين، والتي كان من بينها زيارة لوزير الخارجية أنطوني بلينكن، إلى التعبير عن الدعم والالتزام بأمن الكيان فقط، وإنما كانت تستهدف حث الحكومة الإسرائيلية على الالتزام بالمسار السياسي الذي تتبناه الإدارة الأميركية في الشرق الأوسط، وعدم الارتجال في تبني قرارات من خارج السياق الأميركي.

وعلى الرغم من عرقلة الولايات المتحدة الأميركية لمشروع قرار أممي يدين الاستيطان، فإن حكومة اليمين الإسرائيلي لم تتجاوب مع دعوات الأخيرة لناحية تهدئة الأوضاع مع الفلسطينيين. من ناحية أخرى، يظهر اليمين الإسرائيلي المتطرف جنوحاً نحو استفزاز الجمهورية الإسلامية ونحو محاولة توتير الأجواء في المنطقة بما يمكن أن يدفع نحو مواجهة مباشرة، تلزم الولايات المتحدة على الانخراط فيها، في حين أنها لا توافق على ما قد يؤثر في جهود الدعم المتواصل لأوكرانيا.

في الختام، يمكن التقدير أن الخلاف الإسرائيلي الذي أدخل مجتمع الكيان في دوامة من الانقسام العمودي، بالإضافة إلى السلوك الذي انفجر في وجه عمليات فدائية موجعة، معطوفاً على الموقف الأميركي الرافض مبدئياً لأي تصعيد إسرائيلي إقليمي، قد رسخ بوادر الخلاف بين الغرب وحكومة نتنياهو، بما قد يجعل أي إمكانية لإعادة التوازن في العلاقة أمراً يصعب تحقيقه، أقلّه في المدى المنظور.

إذا كان سلوك الطبقة السياسية قد التزم، ظاهرياً، رؤية موحّدة للمصلحة العليا الإسرائيلية طوال أكثر من سبعين عاماً، فإن ذلك لم يكن مرتبطاً بعملية بناء المجتمع الصهيوني

الهندسة العكسية العسكرية الإيرانية تؤرق واشنطن

موقع الخنادق

في ٤ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١١، هبطت طائرة أمريكية متطورة من طراز RQ-١٧٠ من قبل سلاح الجو التابع لحرس الثورة الإسلامية بعد دخولها الفضاء في البلاد. وهكذا، تمكنت إيران من الوصول إلى واحدة من أكثر المعدات سرية لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA)، وهي الطائرة بدون طيار المتطورة RQ ١٧٠ Sentinel المعروفة باسم "قندهار الوحش".

إيران ثاني أكبر مصنع ومشغل للطائرات بدون طيار في العالم

حينها أعلن قائد سلاح الجو في الحرس الثوري الإيراني بعد إعادة فتح أجهزة تخزين بيانات الطائرة بدون طيار بالكامل، أن مشروعها الهندسي العكسي جارٍ. إلا أنّ خبراء عسكريين غربيين شكّكوا في هذه القضية. فهم لم يتوقعوا أن تمتلك إيران قدرات هندسية عكسية لبناء نماذج أولية للطائرة بدون طيار. لكن على الرغم من مفاجأة الأمريكيين وحتى إنكارهم، وبعد ٩ سنوات من هبوط RQ-١٧٠، تم إنتاج جميع أنواع النسخ الإيرانية وتشغيلها. وهي شاهد ١٤١ و١٦١ وشاهد ١٨١ وشاهد ١٩١ التي استخدمت في عمليات قتالية ضد داعش في شرق سوريا، وشاهد ١٧١ أو سيمرغ التي يمكن اعتبارها أهم طائرة بدون طيار إيرانية: من حيث المدى النهائي، هذه الطائرة بدون طيار تساوي شاهد ١٢٩ وفطرس ولديها مدى واسع جدًا. يبلغ نصف قطر تشغيل هذه الطائرة بدون طيار ٢٢٠٠ كم، ما يعني أنها يمكن أن تعمل لعشرات الدقائق في هذا النطاق. واليوم، تُستخدم الطائرة بدون طيار في مهام مدنية، مثل البذر السحابي، وأصبحت إيران اليوم ثاني أكبر مصنع ومشغل للطائرات بدون طيار في العالم. وقامت بالتوزيع على نطاق واسع على حلفائها في الإقليم، وخاصة حزب الله والفصائل العراقية، تمّ تحويل بعضها إلى طائرة بدون طيار انتحارية.

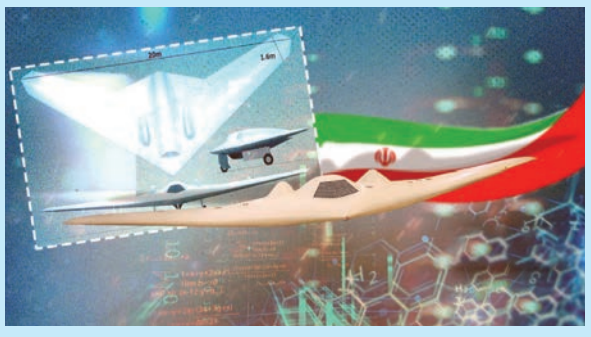

الهندسة العكسية نموذج للتأثير العكسي للعقوبات

في البداية، شكك البعض بقدرة إيران على التقدّم التقني، إلا أنّ الحروب في المنطقة بالإضافة إلى الحرب الأوكرانية، أكّدت أن إيران تمتلك ترسانة من الأجهزة الجوية التي طورتها باستخدام مجموعة متنوعة من التكتيكات، التي تجمع بين الهندسة والهندسة العكسية والذكاء المطلق.

تحاول إيران بناء أساطيل يمكنها الطيران لمسافات أبعد. قال جون كرزيزانيك، الباحث الذي يركز على إيران في مشروع ويسكونسن للحد من الأسلحة النووية: "يبدو أن لديهم بعض الطائرات بدون طيار التي يمكن أن يصل مداها إلى عدة آلاف من الكيلومترات".

وقال نائب الأدميرال براد كوبر، قائد القوات البحرية الأمريكية: "تمثل إيران مصدر القلق الأكثر خطورة في المنطقة، ويتجلى هذا القلق بطريقتين: القدرة وأعداد الصواريخ الباليستية وصواريخ كروز والطائرات بدون طيار". وبحسب قائد الأسطول الأمريكي الخامس، فإنّ هذه القدرة لدى إيران ظهرت على غفلة، "كانت [إيران] تعمل على تنمية القوى العاملة في مجال تطوير وتصنيع الطائرات بدون طيار لأنهم كانوا ينمون قوتهم العاملة في مجال تشغيل الطائرات بدون طيار بمرور الوقت". ويعزو السبب إلى الحكومة التي دعمت هذه الاستراتيجية "بكل إخلاص"، وخصصت الموارد لها.

أصبحت إيران الآن ثاني أكبر مصنع ومشغل للطائرات بدون طيار في العالم وقامت بالتوزيع على نطاق واسع على حلفائها في الإقليم

الواقع أن الإيرانيين تمكنوا من خلال الهندسة العكسية القفز فوق ما يسمى العقوبات، من خلال السعي لتطوير ترسانتها الخاصة من دون الاعتماد على التصنيع الخارجي، فتحولت إلى ثاني أكبر منتج للطائرات بدون طيار في العالم.

التحليل الإخباري

القِيادة السعوديّة خدعت كيان الاحتِلال

عبدالباري عطوان
كاتب ومحلل سياسي

الاتّفاق السعودي الإيراني الذي رعَته الصين، يُشَكّل "تسونامي" استراتيجي يُنبئ بقُرب نهاية ٨٠ عامًا من الهيمنة الأمريكيّة البريطانيّة على مِنطقة الخليج الفارسي والشّرق الأوسط، وصُعود دور الصين كلاعبٍ استراتيجيٍّ مُهم في المِنطقتين، وعبر البوّابة السعوديّة الأهم سياسيًّا واقتصاديًّا.

هذا الاتّفاق يعكس بشكل أكبر، علامات الضّعف للثّنائي الأمريكي الإسرائيلي في المِنطقة والعالم بأسْره، وبداية انهيار مشاريع هذا التّحالف الضّخمة وأبرزها تأسيس محور للاعتِدال بقيادته من الممالك ودول الخليج الفارسي الغنيّة، ونسْف كُل خططه باستِخدام "بُعبُع" إيران، وخطرها المزعوم، كورقة ابتِزاز عسكريّة وأمنيّة، وبما يُؤدّي إلى استِمرار الهيمنة وتعميقها.

أيضاً، "إسرائيل" وطِوال السّنوات العِشرين الماضية، كانت، ولا تزال، تعيش "هَوَسًا" اسمه إيران، وتحشد كُل قُدراتها وعلاقاتها ولوبيّاتها اليهوديّة من أجل مُحاربتها، وإضعافها، وتشكيل حائط صدٍّ لها في الدّول العربيّة للأسف، ووضع الخطط لشن عُدوان عليها لتدمير برامجها النوويّة، ولكنّ النّتائج جاءت عكسيّةً تمامًا، فها هي إيران تُعيد علاقاتها مع السعوديّة، خصمها المُفترَض، وتُوقّع اتّفاقًا تاريخيًّا يُعيد تفعيل التّعاون الأمني بين البلدين.

والقِيادة السعوديّة خدعت كيان الاحتِلال، مثلما خدعت أمريكا، وكُل حُلفاء الأخيرة في مِنطقة الشّرق الأوسط، ونحنُ نتحدّث هُنا عن مِصر والأردن، والمغرب وإسرائيل والسودان، عندما أخفت عن هذه الدّول خططها بالاتّجاه شرقًا إلى الصين، وشِمالًا إلى روسيا بسبب نظرتها الاستراتيجيّة بعيدة المدى، والقائمة على أساس دراسات مُتعمّقة، عمودها الفقري التوصّل إلى قناعةٍ بانتهاء العصر الأمريكي، وزعامته للعالم.

أين المُخابرات الإسرائيليّة التي تزعم أنها ترصد حركة النّمل بدقّةٍ في المِنطقة، وتجني المِليارات من وراء بيع خُبراتها للمُغفّلين في هذا الإطار، لماذا لم تكتشف هذه المُفاوضات السعوديّة الإيرانيّة وتُقدّمها ابتداءً من جولاتها الأولى في العِراق والثانية في سلطنة عُمان، والثالثة المُتوجّه للاتّفاق في بكين؟

كُنّا، ومُنذ عُقود، نُطالب بعدم الانجِرار خلف المُؤامرة الأمريكيّة الإسرائيليّة لشيطنة إيران، من خلال مشروع التّحريض الطّائفي، وخلق فتنة تقود إلى العداء والحُروب الاستنزافيّة المُدمّرة، وطالنا الكثير بسبب هذا الموقف، فإيران دولةٌ جارة مُسلمة، لا يُمكن التّعامي عن وجودها، وإلغاء مكانتها الجُغرافيّة ودورها الحضاري وتاريخها الامبراطوري الذي يمتدّ لأكثر من ٨٠٠٠ عام على الأقل.

السعوديّة تتغيّر استراتيجيًّا، واليمن الجديد القويّ عائدٌ على أرضيّة التّصالح معها، والصين أصبحت لاعبًا استراتيجيًّا في الخليج الفارسي والشّرق الأوسط عبر بوّابة السعوديّة، وعلى حِسابِ تراجُع النّفوذ الأمريكي، ومهرجانات "اللّطم" في تل أبيب ستطول، ولا عزاء للحُكومات العربيّة التي أعماها الضّلال الإسرائيلي عن رؤية التطوّرات المُتسارعة هذه، وقطعت كُل علاقاتها مع إيران تماشيًا مع الإملاءات الأمريكيّة الإسرائيليّة.

نحنُ أمام نُقطة تحوّلٍ تاريخيّة في مِنطقتنا نأمل أن تستمرّ وتتعمّق، فهذا الاتّفاق يُؤذن بنهضةٍ جديدة، على أُسس الحِوار والتّفاهم، وإنهاء ٨٠ عامًا من الهيمنة الأمريكيّة والغربيّة كانت استِعمارًا مُقنعًا.